روشتة أخلاق

سيدة في العقد الثالث من عمرها – جسم ممشوق، عينان زرقاوان، بشرة بيضاء، تشبه «الألمان» إلى حد بعيد، من حيث الطلة وقوة البيان واللباقة في الحديث – بدا واضحًا من وجهها ولكنتها العربية، وزيها (إيشارب أبيض يُغطي الشعر وقليلاً من الوجه وبالطو رصاصي طويل أسفله بنطلون من نفس اللون والقماش) أنها شامية، وتحديدا من سوريا الحبيبة، لجأت لهذا الأسلوب المعيشي في ظل المؤامرة الصهيو – أمريكية التي يتعرض لها وطنها.

استقلت عربة المترو المتجه إلى الجيزة من محطة الزراعة.. ألقت السلام على الركاب، فردوا عليها بأحسن مما قالت.

وخلال دقائق معدودة من ركوبها، فوجئت بها توزع على الركاب ورقة أنيقة تشبه إلى حد بعيد تلك المنشورات الإرشادية التي توزع في الأماكن الفخمة، ومكتوب في **مقدمة الورقة**:

– يأتي زمان على أمتي يذهب فيه الخشوع، ويأتي زمان يكثر فيه موت الفجأة، ويأتي زمان تكثر فيه الزلازل، ويأتي زمان لا يسلِم المسلم إلا على من يعرف، ويأتي زمان يكثر فيه الهرج (القتل)، ويأتي زمان على ناس يتباهون بالمعصية، قيل: متى يا رسول الله؟ فقال: يحصل هذا في آخر الزمان. فإذا حدث فانتظروا قيام الساعة!

وفي وسطها:

- يحدث الآن ولا غرابة في ذلك: آباء وأمهات يهتمون بطعام ولباس الأبناء وينسون غرس القيم والأخلاق، موظفون لا يخلصون في أعمالهم بدعوى قلة الرواتب، ونسوا أن الله يبارك في الرزق الحلال، ويمحق الحرام.. شباب وشابات يقضون الساعات الطوال مشيًا ولهوًا في الأسواق، ويتعبون في أول ركعة.. شباب وشابات يسمعون الأغاني بصدر رحبن وإذا سمعوا كلام الله ضاقت صدورهم، كأنهم يصعدون في السماءن ولم يعلموا أن الحلال لا يخالط حرامًا.. نشتري ما لذ وطاب وقل وكثر، وندفع بالمئات.

- وعندما نجد صندوقا للصدقة نبحث عن العملة المعدنية لنلقيها، ونفتخر بسماع صوتها في قاع الصندوق..نقوم بإعداد المنبه خوفا من التأخر على الدوام، وننسى مقابلة الله في صلاة الفجر، ونعلم أنه بإمكاننا أن نبرمج المنبه للصلاة والدوام.. نسب بعضنا، ونتكلم في أعراض خلق الله، ونسينا «ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد».

وقبل نهاية الورقة:

- نشكو من كثرة الحوادث، ونسينا «سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنيين».. رجال يرون زوجاتهم وبناتهم يلبسن ما يظهر مفاتنهن، ولا يغارون، ولا تتحرك فيهم نخوة الرجال؛ بدعوى أنهم متفهمون ومتحررون ومتحضرون.. في حال وصول هذه الرسالة لك، فقد أصبحت أحد المشاركين في التذكير بسنة رسولنا محمد (صلى الله عليه وسلم).. كل ما هو مطلوب منك إحياء سنة واحدة على الأقل من سنن رسولنا الكريم وحفظ حديث شريف من أحاديث الرسول (صلى الله عليه وسلم).. وبهذا تكون شاركت معنا في نشر سنة رسولنا محمد (صلى الله عليه وسلم).. ترغب أن تكون أحد الدعاةظ أعد إرسالها؛ ليزيد العدد..

وجاءت النصيحة:

- كان الصحابة يفعلون السُّنَّة لأنها «سُـنَّة»؛ لذا لا بد لنا من اتباعها؛ لأنها سنة، وهي: أن تتابع المؤذن، وأن تقول مثلما يقول، ابتداء صلاة الليل بركعتين خفيفتين، الأكل بثلاث أصابع، لا يشربنَّ أحد منكم قائمًا، شرب الماء على ثلاث دفعات، النوم على طهارة، التزاور في الله، نفض الفراش عند النوم، معاونة الأهل في أعمال المنزل، تغيير الشيب بغير السواد، المصافحة عند اللقاء، النوم على الشق الأيمن، عيادة المريض، لا تشمت العاطس حتى يحمد الله، تنحية الأذى عن الطريق سنة، أكل التمر أو الرطب وترًا، عدم النفخ في الشراب، وغيرها من السنن.

وفي نهاية المنشور كُتب:

- انشر سُنته لتحظى بشفاعته: «من أحيا سنة من سنتي، فعلم بها الناس، كان له مثل أجر من عمل بها».

وبعد مرور دقيقتين تقريبًا بدأت السيدة في مطالبة الركاب بعودة الورقة إليها أو مبلغ جنيهين مقابل هذه الروشتة المحمدية.

ويا سبحان الله! لم يكن في هذه العربة ولا سيدة. كنا حوالى 30 رجلاً، رأيت أكثرنا يحاول استمالتها، أو لنقُلْها بصراحة، رأيت البعض يحاول مغازلتها والتعرف عليها' بعد أن تباروا في منحها ما تَيسَّرَ لهم.

لكن للحق، من الواضح أن هذه السيدة لديها خبرة جيدة في التعامل مع هذه «الأشكال» من أشباه الرجال.

فما كان منها إلا أن وزعت ابتسامات مصطنعة على كل من مد لها يد العوان دون أن ينال منها أحد، ولو بكلمة أو نظرة مما كان يصبو إليها!!

ومن سوء حظ أحد الركاب (ستيني مُتصابٍ) أنه كشف عن وجهه القبيح

عندما قال لها بـ«مياعة» وخبث:

– لو عندك استعداد أساعدك في شغل، فأنا مـا عنـديش مـانع بـدل بهـدلتك في المترو، وها هو كارتي به رقمي الموبايل والمكتب و.....

ردت السيدة بأسلوب بليغ واستهانة وتقليل من شأن السائل:

– عفوا.. هو أنا سألتك عن شغل؟!

لحظتها ضحك ركاب المترو، بعد أن رمقوا العجـوز بنظـرات سـخرية، فيمـا شكروا السيدة على ردها.. انتهى.